

# عائد من الظلام

بقلم / أعلام النصر

قِصَّةٌ مَثَلُ لَوَاحِدَةٍ مِنْ جَرَائِمِ الصَّليبِ



# عائد من الظلام!

- الحلقة العشرون -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قصة:

# عائد من الظلام!

- الحلقة العشرون -

#بقلم: #أحلام\_النصر

(قصة مثل لواحدة من جرائم الصليب)

#قناة\_مؤسسة\_أوار\_الحق



كان "مارسيل" متجهاً إلى مكتبه وهو يدمدم متأففاً بصوت سمعه "ألبرت":  
- تبا لها من حشرة لزجة!! كلما كان وقت الطقوس استغلت اشغال الناس  
وجاءت لتصدّعني!! أف لها ومنها!!

وتوقف قليلاً وزفر بقوة ثم قال صارخاً:  
- لست أنكر أنها كانت علكة جيدة الطعم، لكنها كأني علكة أخرى قد فقدت  
نكهتها...

وأشاح بيده مواصلاً:  
- وصار لزاماً أن ترمى بعيداً!

ودخل مكتبه صافقاً الباب خلفه، وتريث "ألبرت" حابساً أنفاسه؛ كان القس يكلم  
خادمه في المكتب ويقول له:  
- هل شعر أحد من أولئك البلهاء بغياي؟

رد الخادم بصوته البارد:  
- اطمئن يا سيدي، لقد تصرفْتُ كما تحب.

ابتسم "مارسيل" وقال باستحسان:

- كعادتك دائماً! يعجبني فيك آليتك في التنفيذ.

وابتسم بحب وتابع:

- كما أنك تبدو مليحاً جداً هذه الفترة! وهذا يناسبني تماماً بعد أن تخلصتُ من تلك الحمقاء!

شحب وجه "ألبرت" من الصدمة، بينما كان الخادم يغمغم ببرود:

- أنا دائماً طوع أمرك يا سيدي القس!

ضحك القس، وقال وهو يمشي بيده مشمئزاً:

- تأكد الآن من انصرافها، وهددها إن لزم الأمر، أفهمها أنها لم تعد تعني لي شيئاً!

- أمرك يا سيدي.

وفتح الخادم الباب، واتجه نحو الردهة؛ حيث كانت الراهبة تجلس القرفصاء، وقد وضعت رأسها بين كفيها، دون أن تتوقف عن البكاء، وقال لها بلهجة ثلجية:

- "هيلين"! القس يأمرك أن تغادري فوراً دون عودة!

رفعت "هيلين" رأسها وهي تنشج، وقالت برجاء:

- أرجوك ساعدني! أنت كنتَ المرسال بيننا، وأنت من أقنعتني بالتجاوب معه،  
أرجوك أن تصنع شيئاً!

تجهم وجه الخادم، وهتف بها:

- القس مرتبط بغيرك! ولا وقت عنده لك!

اتسعت حدقتا الراهبة، وارتجف فُكُّها وهي تسأل:

- مرتبط بغيري؟! من تكون؟!

رماها الخادم بنظرة شيطانية، وقال متهكماً:

- تكون أو يكون!!! هذا ليس من شأنك!! أم أن امرأة حشرة مثلك سيمكنها أن  
تحاسب القس الكبير؟!!

وركلها بعنف قائلاً:

- اذهبي فوراً، والويل لك كل الويل إن عدتِ ثانية!

وهنا؛ للممت الراهبة أذبال ثوبها بجزي وصدمة، وانصرفت كسيرة حزينة، تبكي قلبها الجريح وعارها القبيح، وخيبتها الأليمة وفعلتها الأثيمة، وغادرت من الباب الخلفي، وتلفت الخادم يمنة ويسرة، فازداد "ألبرت" توارياً خلف الجدار المطل على المشهد، ولم يستعد أنفاسه إلا بعد أن سمع صوت إغلاق باب المكتب، فحث خطاه ليخبر "ألفرد" بكل شيء..

\*\*\*

(٤٥)

كان الأمير المجاهد منهمكاً في قراءة الأذكار بعد صلاة العصر، وبعد أن أنهاها تنهد ببال مشغول على جنوده وإخوانه، وراح يلهج لهم بالدعاء أن يعودوا سالمين غانمين، لا يدري لماذا شعر بأنه سيلتقي أخاه في الله "عثمان"، برغم أن هذا محض احتمال قد يصيب وقد يخطئ، تنهد مجدداً، ثم تفقّد أحوال الجميع، وسرّه مرأى إخوانه بين تالٍ للقرآن الكريم، وبين منهمك في مراجعة الدرس الشرعي استعداداً للدرس اليومي، وبين متمرن على التدريبات الأخيرة.

وفجأة؛ سمع تكبيراً عالياً؛ فالتفت بسرعة، وإذ بالشبل "علي الصغير" -تميزاً للمجاهد "علي" الآخر- يهتف وهو يقفز جذلاً:

- لقد وصل الأبطال! وصلوا! الله أكبر والله الحمد.

وأسرع نحوهم بسعادة كبيرة، فأشرق وجه الأمير، وهمس بخشوع:  
- رب لك الحمد والمنة.

وهرع الجميع لاستقبالهم بحفاوة كبيرة، كانت الفرحة تغمرهم جميعاً، ونقل الأمير بصره بينهم يطمئن عليهم فرداً فرداً، وتألّم إذ رأى "عمرًا" مصاباً؛ فأسرع إليه يتفقد إصابته، ثم أعطى التوجيهات للطبية الجهادية كي يعنى أفرادها به، وهنا سمع صوتاً من خلفه يقول:

- السلام عليك أيها الأمير.

وابتسم الأمير، والتفت وهو يهمس مرحباً:  
- أخي "عثمان"؟

وتلقاه بسعادة وتابع:  
- حمداً لله على سلامتك، كيف حالك؟

أجاب "عثمان" بخجل:  
- أحمد الله تعالى إليك يا أميري.



ولمّح الأمير شخصاً غريباً خلف "عثمان"، معصوبَ العينين بعصابة كبيرة أخفت جزءاً كبيراً من وجهه، وكان يدور برأسه محاولاً استكشاف المكان؛ فسأل مستغرباً:

- مَنْ هذا يا أخي "عثمان"؟

زفر "عثمان" بحزن، ثم قال:

- إنها قصة طويلة يا سيدي.

ربّت الأمير على كتفه، وقال:

- حسن، سوف ترويها لي بعد الدرس إن شاء الله تعالى، استرح الآن.

ووجه كلامه للجميع قائلاً:

- خذوا قسطاً من الراحة، ريثما يجهز الطعام، تقبل الله منكم يا أبطال.

أجاب الجميع:

- آمين ومنك يا أميرنا الفاضل.

هتف الشبل "علي":

- ساعدّ لكم ألدّ طعام من مطعم "علي" الشهي!

اقترب منه المجاهد "حذيفة"، وهمس ببرود:

- استرح معهم أنت أيضاً يا عزيزي، لا نريد أن يصابوا بمشكلة ما في المعدة بعد عنائهم الطويل!

ضحك "علي" بخجل، ثم قال:

- سيكون عملي تحت إشرافك طبعاً!

ابتسم "حذيفة" وحرك رأسه يمنة ويسرة؛ كناية عن انعدام الحيلة، ثم انصرف لإعداد الطعام.

بينما اقترب "عثمان" من المجاهد "علي" -الكبير- الذي كان منهمكاً في تنظيف سلاحه، وسأله هامساً:

- أين أجد "أحمد" يا أخي؟

ابتسم "علي" وقال:

- ذهب في مهمة قصيرة، وسيعود قريباً إن شاء الله تعالى.

هز "عثمان" رأسه، وهويكاد ينفجر من حرارة الجمر التي تستعر في داخله.

\*\*\*

(٤٦)

طرق "ألبرت" باب المكتب الذي أخبره عنه القس "ألفرد"، وانتظر الرد وهو متلاحق الأنفاس من هول ما رأى وسمع، وتفاجأ أن "ألفرد" يفتح الباب بنفسه على غير المعتاد، وكان متجهماً الوجه كالحه كمن شرب زجاجة من زيت الخروع، وسرعان ما جذب "ألبرت" من يده، وأغلق الباب، ثم ثبته على الجدار بسرعة، واضعاً يديه على كتفيه بقسوة، صارخاً:

- والآن! أريد أن أفهم كيف حصل كل هذا!! لا شك أنكم مجانين بما يكفي ليرح الإرهابيون في معسكري دون أن تزججهم بشيء!!

وشدّ على كتفيه بقوة، وهمس ساخراً بغیظ:

- هه! كيف فاتكم أيضاً أن تكرموهم بالحلوى والمشروبات؟! أو لنقل العصير! فهم ولا شك يبغضون الخمر! كيف نسيتم آداب الضيافة!!

وعادت ملامحه وحشيةً وصرخ:

- هل أقسمتم على جعلي مجنوناً؟!!!

ازدرد "ألبرت" ريقه بصعوبة، وهو يحدق في القس الهائج المجنون فعلاً، ثم همس  
بضعف:

- سيدي.. إنك.. تؤلمني! كل.. شيء.. كتبه ال.. قساوسة لك.. في الورقة..  
بالتفصيل.

صرخ "ألفرد" وهو يوجع "ألبرت" أكثر:

- هنا نقف بالضبط! التفاصيل!! التفاصيل التي تقول إن كل شيء حصل بإذنك  
وتحت أنفك القميء!!

همس "ألبرت" وقد ازداد ألماً:

- والتي.. تقول أيضاً.. إن براءتي قد.. أثبتت! من أين لي أن.. أنحن.. أنهم إرهاب..  
بيون؟ هل.. سنشك في.. جمعية ال.. تموين.. التي.. آه! تمول معسكرنا.. أيضاً؟!

أرخی "ألفرد" قبضته، وركز عينيه في عيني "ألبرت"، وهمس بصوت كالفحيح:

- إذا فأنت متأكد من براءتك كلياً يا "ألبرت"؟!

صحح "ألبرت" صوته، وهمس:

- تكأ كدي أني واقف أمامك الآن يا سيدي!

أطال "ألفرد" التحديق فيه، ثم دمدم:

- حسن، لن أعجز عن التحقق من هذا لاحقاً.

والتفت إليه وتابع:

- هل وقفتَ على شيء بخصوص القس "مارسيل"؟! أم نعيد الكرة في الأسبوع القادم؟!

همس "ألبرت" باهتمام:

- لا داع يا سيدي! لقد توصلتُ إلى معلومات خطيرة!

جلس "ألفرد"، ووضع ساقاً فوق أخرى، وابتسم مشجعاً:

- أخبرني إذا! يبدو الأمر مشوقاً!

وسرد "ألبرت" كل ما رآه وسمعه، فصفر "ألفرد" وقال:

- ياه! كل هذا؟! لقد كنتُ محقًا في إرسالتي لك خلفه بعد أن لاحظتُ تغيّبه المتكرر عن طقوس أيام الأحد، ورأيتُ توتره وتهربه بعدها من لقائي في كل مرة!

وابتسم وتابع:

- يا له من خبيث! قلت إن اسمها "هيلين"؟ حسن، أشكرك يا "ألبرت"! ليقَ كل شيء بيننا، وكن مستعدًا لأية تحريات أخرى قد أطلبها منك.

خفض "ألبرت" رأسه باستسلام وقال:

- أمرك يا سيدي القس.

نادى "ألفرد" على "سيدريك"، وأمر "ألبرت" أن يعيد سرد المعلومات على مسامعه، وحين انتهى منها تملل "سيدريك" قائلاً:

- وما المهم في كل هذا؟! إن أغلب القساوسة إن لم يكن كلهم: بين من عبث مع الراهبات وغيرهن، وبين من هو على وشك أن يعبث!!

لكزه "ألفرد" وقد لمح "ألبرت" الذي بحظت عيناه صدمة، إلا أن "سيدريك" لم ينتبه، بل واصل قائلاً:

- وحتى علاقته بخادمه! إذا كان الفاتيكان نفسه يعدو على الصبيان (١)!! فأين الدهشة في الأمر!!

ضرب "ألفرد" بيده على وجهه منزجاً من غباء "سيدريك"؛ إذ كانت الدهشة عارمة على ملاح "ألبرت"، وأخيراً قال "ألفرد" بإصرار:  
- لكن ظهور هذه المعلومات على الملأ هو الفضيحة بعينها يا عزيزي المتشائم!!

هز "سيدريك" كتفيه دون أمل، ثم قال:  
- ما زلت أرى أن هذا لا يكفي.

صمت "ألفرد" مفكراً، ثم قال:  
- حسن لا تبتئس هكذا! اللعنة! إنك تبدو كئيباً جداً! أعدك أن أجد خطة مناسبة!

ابتسم "سيدريك" أخيراً، وقال وهو يربت على كتف "ألفرد":  
- جيد إذاً! هذا هو الكلام الذي يدعو إلى التفاؤل.

نظر "ألفرد" باتجاه "ألبرت"، وقال:  
- "ألبرت"! اذهب إلى كاتب سجل الكنيسة، واعثر لي على معلومات "هيلين" هذه.

تتم "ألبرت":

- حاضر يا سيدي.

قال "سيدريك" وهو يتأهب للانصراف:

- أنتظر منك أخباراً جميلة يا "ألفرد"!

قال "ألفرد" متملّقاً:

- اطمئن يا سيادة القس.

وانتظر "ألبرت" حتى خرج "سيدريك" وأغلق الباب خلفه، ثم رفع رأسه متردداً،  
إلا أنه حسم أمره وسأل "ألفرد" بحذر:

- اعذرني يا سيدي؛ لكن لماذا تحفر للقس "مارسيل" مع أن مركزه أعلى شأنًا من  
القس "سيدريك"؟!

ابتسم "ألفرد" وقال:

- لطالما قلتُ إنك لا تخلو من الذكاء يا "ألبرت"!



تجهّم وجه "ألبرت" وهو لا يدري أمديح هذا أم هجاء، أما "ألفرد"؛ فإنه شمخ بأنفه، ونخر قائلاً:

- أنا لا أحفر لأحد، بل أستغلّ وحسب أخطاءهم التي يرتكبونها بحماقة!

والتفت إليه وتابع:

- القس "مارسيل" كثرت أخطاؤه، وكبرت سنه، وفوق هذا وذاك: يظن نفسه صخرة قوية في وجه طموحاتي، غير منته إلى أن الزمن قد هدّه وأحاله إلى تراب بائس! أما "سيدريك" فإنه أنشط منه وأكثر مرونة وقرباً مني، ولا بد لي أن أستفيد من ذلك ريثما أسبقه هو الآخر! أي تلميذي الصغير "ألبرت"؛ نحن نصالح الكرسيّ والمنصب، وليس الشخص المتغيّر!

وتغير وجه "ألفرد" فجأة بشكل أدهش "ألبرت"؛ إذ كانت هذه أول مرة يراه فيها كأنه ضعيف فاقد الحيلة، غير أنه لم يشأ أن يتدخل، إلا أن "ألفرد" سأله بهمس آخر سؤال كان يتوقعه:

- إذا فقد أخذ الشباب الإرهابيون "عثمان"؟

أجاب "ألبرت" باستغراب من حال القس:

- نعم يا سيدي.

زفر "ألفرد" بشدة، فتجراً "ألبرت" وهمس:

- ما أثرُ هذا الأمر في نفسك يا سيدي؟! أنا لا أفهمك!

تنهد "ألفرد" ونظر باتجاه النافذة محمّلاً، ثم استدار إلى "ألبرت" وقال:

- لطالما تفوقتُ على غيري بذكائي وتخطيطي، وقفزتُ فوق إنجازاتهم مدمراً إياها؛  
ذلك أعطاني سرعة في التفوق دون أن يدركوا السبب؛ الدهاء والصبر، واليقظة  
لكل خطأ يرتكبونه، حبك طرق إسقاطهم دون ترك ما يدينني، لكن "عثمان"!  
"عثمان" هو الشخص الوحيد الذي عجزتُ أمامه!

وتابع بقهر:

- كان صابراً وساخراً ويقظاً أكثر مني، تمكن أن يقهرني بكلامه وعناده! "عثمان"  
هو الوحيد الذي استعصى علي وهزئ بي!

وكور يده هاتفاً:

- أنا لا يمكنني أن أنساه ولا أن أنسى ما صنعه بي أبداً!

قال "ألبرت" بهدوء:

- ولماذا تخبرني بهذا يا سيدي؟!

رفع "ألفرد" رأسه، وقال بابتسامة شاحبة:

- أنا لا أطلعك على ضعفي يا بني! بل أفكر بصوت عال، ثم إن هذا الموضوع لا يمكن أن يصل إلى أحد أبداً خاصة منك أنت...

وضيق "ألفرد" عينيه بنجث وتابع:

- وذلك لورود اسمك فيه مراراً، ومن السهل أن يعاد توجيه أصابع الاتهام إليك، ولا أحسبك تحب هذا كثيراً!

زفر "ألبرت" بنحق وقال:

- لا كثيراً ولا قليلاً! للهرة الألف أوكد براءتي من الأمر، وأقر بأن حظي بأش مثلي!

ابتسم "ألفرد" وقال باسترخاء:

- لهذا لا تحاول أن تعابثني أو تراوغني أبداً يا فتى! أنت لست مثل "عثمان"...

وتابع بصرامة واستعلاء:

- ولن تكون أبداً!

وأشار إليه بأطراف أصابعه، قائلاً باحتقار:

- هيا.. انصرف الآن من وجهي، واحصل على المعلومات التي طلبتها منك.

دمدم "ألبرت" وهو يحاول كظم غيظه:

- حالاً يا سيدي!

وتنهّد "ألفرد" وقد صار وحده، وغاب ذهنه شارباً إلى حيث كان يعذب "عثمان" يوماً، ويتعذب بعناده وثباته:

- تكلم أيها الغبي! تكلم! سوف أحطم رأسك وأقضي عليك!!

ويبتسم "عثمان" المقيّد، رغم اضطراب أنفاسه وآلام جراحه، ويقول:  
- أتظن أيها الأحمق أنك ستنال من ديني!!! أنت تحارب الله عز وجل يا غبي!  
ولست في هذه الحرب ولا حتى حشرة!

ويجن جنون "ألفرد"، وينهال عليه بضرب وحشي وهو يصرخ:

- أقسم إنني لن أتركك حتى تترك دينك هذا!!!

فيضحك "عثمان" ضحكة مجلجلة تزيد من جنون "ألفرد"، ثم يقول بتحدٍّ:

- حتى لو حصل هذا أيها الصليبي البائس فإنك لن تنتصر على الإسلام!! سأكون أنا الخاسر فقط، أما الإسلام.. فإنه لن يتأثر أبداً بهذا!! إنه لا يحتاج لي ولا لغيري أصلاً!

ويصفعه "ألفرد" صارخاً:

- ولماذا تعمل لصالحه ما دام لا يحتاجك، ولا يؤثر عليه انتكاسك!!؟

فيردّ "عثمان":

- لأن هذه هي أوامر الله عز وجل، ومن واجبي أن أنفذها دون تردد..

وتابع متأثراً:

- وإني أسأل الله تعالى الثبات حتى الممات.

ثم يغشى عليه، بيد أن الضرب الجنوني لا يتوقف؛ إذ لم يعتدّ "ألفرد" أن يتقبل الهزيمة أبداً.

وأفاق "ألفرد" من خيالاته أخيراً، وتمتم:

- عجباً! أي نوع من القوة كان يسكنك يا "عثمان"!!؟

-----

حاشية:

(١) حقيقة.

\*\*\*

انتهت الحلقة العشرون

\*\*\*

...يتبع

